

- تعليمية العروض و المقاربة النصية - تقييم وتقويم -
 - مرحلة التعليم الثانوي أنموذجا -

Didactics of Prosody and Textual Approach. Evaluation and Correction

الباحث : عادل بلخيري - جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم .

Adel.belkhairi@umc.edu.dz

إشراف الأستاذ الدكتور : حنيفي بن ناصر - جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

تاريخ الاستلام: 2019/09/05 تاريخ القبول: 2019/09/29 تاريخ النشر: 2019/10/09

ملخص: العروض أحد علوم اللغة العربية، ويدرس في المرحلة الثانوية بالجزائر كرافد من روافد النصوص المقررة للشعب الأدبية، وذلك في إطار المقاربة النصية المعتمدة من طرف الوزارة الوصية، كأخر محطة من محطات إصلاح المناهج التربوية، ونحاول من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف عند أهم الإشكالات التي تعترض الدرس العروضي التي لامستها الإصلاحات أو جانبها، وهي تلك المتعلقة بعناصر العملية التعليمية من معلم ومتعلم ومحتوى المادة المختار تدريسه من هذا العلم، وذلك في إطار توافق منهجي بين علم تراثي موروث ومستجد حديثي، بين علم العروض الذي أتى به الخليل بن أحمد الفراهيدي، والعلوم التعليمية والتربوية الحديثة المتعلقة بتعليم اللغات .

كلمات مفتاحية: الدرس العروضي، المقاربة النصية، التعليمية، الإشكالات، المرحلة الثانوية، طرائق التدريس.

Abstract:

Prosody is one of the Arabic language sciences, and is taught in the Algerian secondary schools as a programme of the texts prescribed for the literary stream, within the framework of the textual approach adopted by the The Educational Ministry, as the last of the educational curriculum reform stations. Through this research paper, we try to stand up to the most important issues in the prosodic lesson that have been touched by the reforms or their aspect, which are related to the elements of the educational process of a teacher, learner and the content of the material chosen to be taught in the framework of a systematic compatibility between traditional and new approaches that were offered by " Ibn Ahmed al Farahidi and the modern educational sciences related to the teaching of languages.

Keywords: prosodic lesson, textual approach, instructional, problematic, secondary, teaching methods.

المؤلف المرسل: عادل بلخيري، الإيميل: adel.belkhairi@umc.edu.dz

مقدمة :

تعد العملية التعليمية بشكل عام أبرز تحد لتطور الأمم وحفظ كيانها، مما يشكل هاجسا يؤرق منظرها ومهندسي طرائق التدريس فيها ومناهج تعليمها، إذ عليها تتوقف حياة الدول ككينونة دينامية في عصر تتدافع فيه الأفكار وتتزاحم الابتكارات وتتسابق الأديان وتتصارع فيه الثقافات، تتشبث بماضيها البلدان وتحفظ لغتها بين اللغات، وكل ذلك بمنطق البقاء للأقوى وإن لم يكن الأصلح، وفي ظل هذا التدافع تظل مناهج التعليم الفصيل في حسم الصراع، فتطور الأمم على جميع الأصعدة منوط بتطور مناهج التعليم فيها وحفاظها على تاريخها ولغتها ودينها بين أمواج العولمة العاتية منوط أيضا بمناهج تعليمها النابعة من ثقافتها وخصوصية مجتمعاتها، واستنادا لما تقدم تبرز أهمية الإشكالية التي يتصدى المقال لمعالجتها، وإن بدا عنوان المقال بعيد المرمى عن مقدمته فإنه يترجم الرؤية البعيدة المدى في بناء محتوى مناهج المواد مهما دقت أنشطتها لبناء متكامل يخدم الرؤية العامة لبرامج التعليم والأهداف الكبرى التي سطرها وزارة التربية والتعليم، لبناء دولة تحفظ لغتها وماضيها وتبني حاضرها ومستقبلها بعلوم عصرها، ولا شك أن حفظ اللغة العربية بعلومها حفظ لتاريخ أمة صمد أمام حملة استدمارية طيلة القرن ونصف القرن، فمن

للنحو والبلاغة والعروض... في ظل تهديد تقني جديد معزز بانبهار عربي أمام إنجازات العولمة التي لم يتخل قوادها عن لغاتهم وتاريخهم بل سعوا لفرضها على غيرهم من المجتمعات و الأمم ، " ومما لا ريب فيه هو أن المجتمعات البشرية تمر الآن بمخاض عسير ، وهي تنتقل بالضرورة من المحلي إلى العالمي ، لأن المعوقات الناتجة عن المحلي كثيرة ومغريات العالمي مثيرة وإلزامية في الوقت نفسه ، فليس من اليسير التحرر من الماضي بكل ثقله الفكري والثقافي ، والمروق بسهولة من تأثير الخطاب التراثي الذي توطره الأحادية في كل المجالات الفكرية الفاعلة "1

ومن هنا تتشكل في مجال التفكير و المحاوره الأسئلة الآتية :

- ما أهمية إحكام التخطيط لعلوم العربية وعلى رأسها العروض كرافد من روافد النصوص الأدبية المقررة ؟
- إلى أي مدى أسهمت المقاربة الجديدة في تيسير علم العروض ؟
- ما الإشكالات التي تحول دون الطلبة وعلم العروض .؟

وقبل محاوره هذه الأسئلة نعرج على الجهاز المصطلحي المشكل للكلمات المفتاحية في هذا المقال الذي نتطرق فيه إلى جوانب مهمة من إشكالات تعليم العروض في مرحلة التعليم الثانوي وفق المقاربة النصية فنوضح المقصود ب :

أ) **الإشكالات** : والمقصود بها العوائق والحجب والأسباب التي تحول دون الطلاب وعلم العروض، ورغم الإصلاحات التي توالى على المنظومة التربوية في الجزائر، وبالضبط مرحلة التعليم الثانوي. وقد سبقتنا مصطلح " إشكالات " بحرف الجر " من " ، وهي للتبويض تبياناً لكون هذا الموضوع مثار بحث تصدى له الكثير من الباحثين، غير أن جهدنا منصب حول أهم هذه الإشكالات المتعلقة أساساً بعناصر العملية التعليمية وما لامست الإصلاحات منها وجانبت .

ب) **الإصلاحات التربوية** : وهو ما تبنته الوزارة الوصية باعتباره إصلاحاً لمناهج التعليم الثانوي ووقفاً عند آخرها في مناهج اللغة العربية وهي المقاربة النصية.

ت) **المقاربة النصية** : مقارنة تعليمية تستهدف النص جملة بنية ونظاماً، حيث تتوجه العناية إلى مستوى النص ككل، وليس إلى دراسة الجملة. فتعلم اللغة وتعليمها هو التعامل معها من حيث هي خطاب متناسق الأجزاء منسجم العناصر، تقدم علوم اللغة في ضوءه كروافد للنص، وبالتالي يحصل الطالب عدداً من الدروس المتكاملة المنسجمة في النحو والبلاغة والصرف والعروض.

ث) **علم العروض** : المقصود هو ما تم اختياره من محتوى في الكتاب المدرسي من هذا العلم الذي يعنى بالشعر وأوزانه وموسيقاه، وتمفصلاته في عناصر العملية التعليمية .

ج) **عناصر العملية التعليمية** : وركزنا الحديث تفصيلاً عن المثلث التعليمي الأستاذ والطالب ومحتوى المادة التعليمية في المرحلة الثانوية .

ح) **المرحلة الثانوية** : وهي مرحلة من مراحل التعليم في الجزائر تلي التعليم المتوسط وسابقة للتعليم الجامعي، وهي مرحلة محورية هامة تؤهل الطالب للتخصصات المختلفة في الجامعة، وتشكل علوم العربية وحدة أساسية في الشعب الأدبية والعلمية على تفاوت في النسبة .

بعد هذه التعريفات الوجيزة لأهم المصطلحات المدبجة في المقال نبرز فيما يأتي مكانة العروض في الإصلاحات التربوية وأهميته في العملية التعليمية، إذ تبوأ علم العروض مكانة هامة بين علوم العربية منذ تأسيسه على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولا أدل على ذلك من كثرة المؤلفات في هذا الميدان من مطولات ومتون وشروح واستدراكات واختصارات وتيسيرات...، وقد كان أحد أعمدة الملكة اللغوية لمن رام الفصاحة والبلاغة، ولا زال كذلك لمن سلك طريقا ينحو فيها سمت العرب في كلامها، وذلك للترسانة الهامة من المصطلحات المتعلقة بالبيئة العربية من جهة ومن جهة أخرى لتعلقه بميدان الشعر الذي هو ديوان العرب الحافظ لتراثها ومآثرها " والواقع أنه لا توجد أية " لغة " في كتب اللغة والنحو إلا ولها شاهد من الشعر زيادة على الشواهد من كلام العرب. ويكفي أن يتصفح الباحث كتب اللغة وكتب الشواهد ليقنع من صحة ما نقوله "2 .

ولسائل أن يثير انشغالا حول فائدة هذا العلم في عصر مصطلحاته العلمية باللغات الأجنبية، ولا مكان للخيمة وأجزائها في الحياة المدنية، بل حتى الأدب قد تشظى فنونا كاد يتجاوز بها القصيدة العمودية، ويشند السؤال مثيرا زوبعة الجدل حين يتعلق الأمر بإدراج هذا العلم في المناهج التعليمية، بل قد تحقق للكثيرين عدم جدواه بدليل حذفه من مناهج التخصصات العلمية بداية من المرحلة الثانوية .

إن التأمل الموضوعي لمناهجنا التعليمية في المرحلة الثانوية يجلي محاولات التضييق على علوم العربية عامة، والعروض بشكل خاص، فهو محصور في الشعب الأدبية بسويغات من الحجم الساعي، منعدم الوجود في الشعب العلمية ومرد ذلك كله أسباب عديدة، أبرزها النظرة القاصرة لعلم العروض وعدم تبين أطرافه المتزامية التي تتجاوز الذوق الشعري إلى الموسيقى والرياضيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والطبونيما وحتى علم الحاسوب والتكنولوجيات الحديثة ناهيك عن النحو والصرف والبلاغة، وليس في الأمر مبالغة، إذ شهد الواقع بأن التخصص لا يعد عائقا أمام الباحث خصوصا في هذا العصر الذي يشهد سبعا في مجال العلوم البينية، وإن علاقة العروض بالعلوم الأنفة الذكر تبرز هذه الأهمية، وهو أمر مغيب للأسف حتى في مناهجنا الجامعية في التخصصات الأدبية (حتى لا نرفع سقف الأمل للتخصصات العلمية والتقنية)* . وهذا ما يسلمنا للحديث عن أهم مشاكل تدريس هذا العلم انطلاقا من محاضن تكوين أساتيد علوم العربية وهي الجامعات ، وبالتالي الحديث عن ركن هام من أركان العملية التعليمية ألا وهو المعلم، لنعرج بعدها على باقي الأركان وعلاقتها بإشكاليات تعليم العروض.

أولا : أستاذ علم العروض ودوره في تعليمية المادة :

يعد المعلم أساسا ثابتا في ظل تغير المقاربات وتطور النظريات وتعدد الوسائل التعليمية، فلا يمكن بحال من الأحوال تصور عملية تعليمية على المستوى الرسمي خاصة يمكنها الاستغناء عن الدور الهام والخطير للمعلم، بل حتى في التعلم الآلي أو التعليم عن بعد أو غيرها من الطرق الحديثة في التعليم المرتبط بالتكنولوجيا، لا بد من حضور المعلم بشكل من الأشكال، لذلك قد يتغير دوره لكن مكانته تبقى ثابتة .

لا يعزب عن أحد إذن مدى المكانة الهامة التي يحتلها المعلم كركيزة لا يستغنى عنها في نجاح العملية التعليمية فهو الموجه والمرشد ومالك القدرات والكفايات بما يؤهله لتأدية رسالته، إذ ورغم التحول الذي شهده دوره واختلافه بشكل ملحوظ بين الماضي والحاضر - كونه أصبح منشطا ومنظما يحفز على الجهد والابتكار - فإن تحديد فاعلية تعلم

أي مادة وتعليمها ونجاحها متوقف إلى حد بعيد على جملة من الخصائص المعرفية والشخصية التي يتوفر عليها المعلم كي يستطيع نقل المعلومات بشكل صحيح ودقيق، ويكون ذا شخصية متمكنة في قيادة الطلبة، ويمكن ذكر بعضها وإيجازها في النقاط التالية:³

✓ تعمق المعلم في مادة تخصصه أو القضية التي يدور حولها الحوار .

✓ أن يتمتع المعلم بمهارة في صياغة الأسئلة وتوجيهها .

✓ أن يكون لديه إلمام في العلوم التربوية وعلم النفس .

✓ أن يقوم بالتحضير المسبق للمادة .

✓ يجب أن يتمتع بالقدرة على الانتباه الدائم لإجابات الطلبة حتى يقيم مستوى الحوار بينهم فيستنى له توجيههم بصورة صحيحة .

وأني لمن لم يكن له زاد في مادة العروض أن يحاور ويتعمق، ولن تتعدى جل أسئلته في هذا العلم (قطع وسم البحر!) بطريقة روتينية مملّة ومنفرة، وإن المتعمق في علم العروض وعلوم العربية عامة سيكتسب من مطالعته مهارات في علم التربية وعلم النفس قصد ذلك أم لم يقصد، ففي حوارات العلماء وتأديبهم لطلبتهم وما تحويه الآيات الشعرية من حكم وتوجيهات ما يدل على ذلك، وإن عززت تلك المهارات بعلوم التربية الحديثة صار الأنموذج والمبتغى .

وكل هذه الصفات وغيرها تعد من المقومات الأساسية للتدريس والتي تتلخص مهارة تتجلى " في موقف المدرس وحسن اتصاله بالتلاميذ وحديثه إليهم، واستماعه لهم وتصرفه في إجاباتهم وبراعته في استهوائهم والنفاد إلى قلوبهم" ⁴ إلى غير ذلك من مظاهر العملية التعليمية الناجحة، وخصوصا إذا كانت المادة التي يقدمها محكوما عليها مسبقا بالجفاء والصعوبة وأنها في نفوس أغلب الطلبة أساطير الأولين اكتسبها الأستاذ فهي تملئ عليهم بكرة وعشية مما يستدعي من المعلم جهدا مضاعفا.

وفي حديثنا عن هذا الركن من العملية التعليمية في مراحل التعليم ما قبل الجامعة لا بد من التطرق إلى مكون المكونين، الأستاذ الجامعي، باعتبار مادة العروض من مقاييس التكوين التي تؤهل الطالب لأن يكون أستاذا مقتدرا في علوم العربية . صحيح أن من أسباب ضياع هذه المادة في أذهان الكثير من الطلبة هي تخصيص سداسي واحد لعلم العروض طيلة سنوات التكوين الخمس، الأمر الذي جعل الأستاذ حائرا فيما يأتي ويذر من هذا العلم، وهي أحد نقائص نظام ل.م.د في التعليم الجامعي لمناهج اللغة العربية. غير أن الأستاذ الذكي العروضي من يجعل للعروض مكانا في مختلف المقاييس، وركز هنا على الأساتذة المتخصصين وهم قليل، وقد كان في النظام القديم أو الكلاسيكي ثلثة منهم يتابعون الطلبة في كل سنة تقريبا، يبدعون في اختيار الشواهد ويتفننون في طرائق التدريس، يجري العروض منهم مجرى الدم على ما خبرنا وحاورنا بعضهم . .

ثم أتى على هذا العلم حين من الدهر، صار في مقدور من لا يقوى على تبين وزن بيت من الشعر (إلا بعد جهاد مرير) أن يصبح أستاذا جامعيا لمادة (العروض وموسيقى الشعر)، وقد عاشرنا رهطا من هؤلاء الأساتذة وعشنا بين ظهرانهم فألفينا قلع ضرس أهون على معظمهم من استبدال شاهد شعري بالشاهد القديم في المسألة العروضية الواحدة، ومن المفارقات العجيبة- هنا - أن سهولة الرجز قد جعلت منه حمارا للشعراء في وقت مضى، وأن صعوبة علم

العروض قد جعلت منه أيضا حمارا ركوبا للأساتذة في وقتنا هذا، يجب أن نتذكر هنا بالذات - أن بعض الدارسين يرى أن العروض قد سمي لذلك تشبيها له باسم الناقة / العروض وهي الناقة الصعبة التي لم ترض، فكيف أمست هذه الناقة المعتاصة - حملا وديعا؟⁵ .

وبالتالي فإن ضعف التكوين ينتج لنا ضعف الميكون، هذا الأخير الذي لن يجد سبيلا لتدريس العروض سوى إعادة إملاء المقرر كما هو، ليجعل من كراس الطالب صورة طبق الأصل عن الكتاب المدرسي، و من الحقائق الثابتة في عملية التدريس أن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن ثم فإن المعلم الذي يناط به تدريس هذا العلم وهو لا يعرف عنه شيئا أو لم يحط به الإحاطة الكافية هو أول المناوئين لدرس العروض، وأكثرهم تهريا منه، تخوفا من أن يقع في هفوات يكتشفها الطلاب وتحززا من الوقوع في أمر لا تحمد عقباه، ولأنه يخشى هذا نجدُه ينهال على هذا العلم ومبدعه ومؤيديه بالتهم والنعوت الزائفة مما يخلق أرضية لعدم قبول هذا العلم في نفوس الطلبة، ولنا أن نتخيل تقديم درس مصطلحاته معقدة ومقدمه أول الكارهين له، في مواجهة جمهور محبط وقد تكون هذه المادة مبرحة في ساعة مسائية أين يتشتت الذهن وتثبط الهمة، والنتيجة إهمال هذا العلم برمته .

لذلك لا بد من تكوين الأستاذ أولا حتى "يكون ملما بمادته العلمية أو النشاط الذي يمارسه مع تلاميذه إمام تمكن ومعرفة، لأن تمكن المعلم من مادته، وقدرته البارعة فيها مما يعطيه مكانة عند تلاميذه وتقديرا . والمدرس القوي في مادته - إذا ما توفرت له كل مقومات الشخصية - يقبل التلاميذ على درسه ويحسون بالفائدة منه والاستمتاع بما يدرسونه معه، وذلك على العكس من المدرس الذي لا يلم بمادته كما ينبغي"⁶ .

ولسنا نزعم أن معرفة هذا العلم أمر سهل، فالصعوبة فيه واضحة للجميع يراها المعلم قبل الطالب ويلمحها الأستاذ في عيون تلاميذه، أسئلة حيرى، واستفسارات محكومة بالخوف والقلق، فالمعلم حين يقوم بتدريس هذه المادة، يستشعر أجواء اليأس في محيا الغالبية العظمى من الطلاب فهم يكرهونها، ويحاولون الهرب منها، لأنها في اعتقادهم مادة صعبة معقدة لا جدوى من دراستها، ولا أمل في اكتسابها والفلاح فيها، ومرد هذه الصعوبة في نظرنا، يعود إلى أمور، منها ما يختص بالمادة نفسها ومنها ما يتعلق بالمؤلفات التي عاجلت هذا الموضوع⁷ ومنها ما يتعلق بالمعلم والمتعلم كما الأمر مفصل في هذا المقال .

ثانيا : طالب علم العروض ودوره في تعليمية المادة :

إذا كانت مكانة المعلم ثابتة بتغير النظريات وطرائق التدريس، وكان دوره يتغير بتغيرها فإن هذه الطرائق والنظريات ذاتها تتغير استنادا لمدى تحقيق نجاحها على مستوى المتلقي، وهنا يبرز الركن الثاني من أركان العملية التعليمية ألا وهو المتعلم، إذ المتتبع للإصلاحات التربوية يجد أنها انبنت على نقد المناهج السابقة وخصوصا في نظرتها للمتعلم، نظير ما نجدُه في مناهج المقاربة بالكفاءات، إذ ورد في أحد هذه المناهج المتعلقة بالتعليم الثانوي، السنة الأولى تحديدا ما مضمونه :

" لقد كانت الصبغة الغالبة على تنشيط الدرس - من قبل - قائمة على الحفظ والاستدكار والتلقين وعزل المتعلم عن الخبرات الواقعية في التعبير والكتابة والقراءة، وكانت النظرة إلى المتعلم تقوم على أساس أن عقله مستودع فارغ ينبغي ملؤه

بكنوز المعرفة، فهو يكتسب هذه المعرفة ويستهلك المقررات، فأصبح الأمر يختلف من منظور المقاربة بالكفاءات، حيث صار المتعلم مسهما فعالا في بناء معارفه عن طريق البحث والاكتشاف فيكتسب قدرات ومهارات ومعارف فعلية وسلوكية، وإنما يتحقق كل ذلك عن طريق :

- دفع المتعلم إلى الاعتماد على النفس والتثبت من المعرفة عن طريق البحث والاطلاع .
- جعل المتعلم محور العملية التعليمية - التعلمية - ومركزها ومن ثم لا بد من توجيهه إلى أن يسأل ويناقش، يستفسر، ويعارض ويثير الكثير من التساؤلات ويستنتج .
- تحديد المهارات اللغوية المراد اكتسابها، حيث كلما كانت هذه المهارات محددة كانت أدعى إلى اكتساب الطلبة لها في دقة وإتقان .
- العمل على إنماء المعجم اللغوي للمتعلم، بالسعي دوما إلى ربط الكلمة الجديدة بالشيء الحسي تسهيلا لإدراك معناها ومدلولها، ثم تدريبه على توظيفها في سياق تجريدي .
- الحرص على إحاطة النشاط التعليمي بإثارة المناقشة والمجادلة حول إصدار الأحكام وتعليلها بمساعدة المدرس الذي يتدخل من أجل التوجيه والإرشاد حينما والتصحيح حينما آخر .
- تنشيط الدروس بإثارة المعلومات القديمة على اعتبار أنها هي التي ستبنى عليها المعلومات الجديدة وتلاحم معها وترتبط بها وتتفاعل معها وتكون مدركا جديدا .
- تنشيط الفعل التربوي انطلاقا من جعل المتعلم يكتسب معلومات ومهارات واتجاهات وقيما. فقواعد اللغة -مثلا - ليست هدفا لذاته ولكنها وسيلة لسلامة اللسان والقلم وصحة الكلام عند التعبير الشفوي أو الكتابي .
- تدريب المتعلم على التفكير بوضعه في مواقف حل مشكلات وبذلك يتمرس على اكتساب معارف جديدة وأساليب جديدة لمواجهة المواقف المعقدة فتتمو لديه ملكات الإدراك والتذكر والتخيل والفهم والابتكار .⁸

إن المتأمل في نظرة هذه المقاربة يلحظ تركيزها الكبير على المتعلم ومحاولة تكييف المادة وحتى الأستاذ وفقا لإمكانياته ومهاراته، باعتباره هو المعني أسسا بعملية التعليم، غير أن النقاط المذكورة آنفا قد يتعذر تطبيق بعضها على اللغة العربية خصوصا والعروض بشكل أخص، إذ الحفظ والتلقين لم يبرحا مكانهما في هذه العلوم بل هما من الضرورة في التحصيل بمكان، أضف إلى ذلك ضيق الحجم الساعي عن الجوانب التطبيقية "ونحن ننصح أبناءنا الطلاب في دراسة العروض بالجانب التطبيقي، فيحيطون أولا بالمفاهيم النظرية ويعرفون قواعد الكتابة اللفظية، ويلمون بالتفاعلات التي تتشكل منها البحور، ويعتنون عناية واضحة بالتطبيق من خلال الإكثار من تقطيع أبيات الشعر، فإذا درس بحرا من البحور فعليه أن يقوم بتطبيقات عديدة على هذا البحر حتى يتمكن من معرفته"⁹ والحفظ قرين علم العروض به تتحقق الملكات و"إن الراغب في تعلم العروض ومعرفة الأوزان، مطالب بحفظ مفاتيح البحور الشعرية حفظا جيدا، وإيقاعات وألحان مناسبة موثمة، ثم عليه بحفظ قطعة شعرية من كل وزن يتغنى بها مع المفتاح بين الحين والآخر، وبذا تنشأ لديه حاسة خاصة لتمييز الموزون من المختل المكسور، ولتمييز بين البحور أيضا، كل ذلك بفضل التغني والنقر والتوقيع . مما يحقق الوظيفتين الجمالية والتعليمية، ويسر عمل المعلم، ويرغب المتعلم فيما كان ينفر منه، ويهذب سمعه، ويصقل ذوقه، وبمكته من معرفة أوزان الشعر وإيقاعاته، فيدرك العلاقات بين

الوزن والإيقاع، والصور الشعرية، والفكر والشعور، وربما ارتقى من موقع المتقبل السامع إلى مرتقى الشاعر المبدع. أما مسألة التقطيع فهي المرحلة الأخيرة، حيث يكشف الطالب بواسطتها الجوازات الشعرية، أو الزحافات والعلل " 10 .

وهنا إشارة إلى وجوب بذل المتعلم مجهودا خاصا لتحصيل هذا العلم، مع إدراكه الفعلي أنه محور العملية التعليمية فمهما تغيرت الإصلاحات وتطورت المناهج، يبقى الأساس في التعلم الرغبة الذاتية والاجتهاد الخاص، ومهما كان للعروض من مآخذ مصطلحية وصعوبات معرفية فلا يجب أن نتغافل هنا بالذات عن الصعوبة التي تكون لأي علم ولولا المشقة ساد الناس كلهم .

إن إلقاء اللائمة هنا على الخليل وتلاميذه وحدهم، والتعاطف الزائد مع الطلاب في عصرنا الحاضر هو أمر مبالغ فيه إذ إن تلقي أي علم وفن له عقباته وصعوباته الطبيعية، وما من علم إلا وطلاب الوقت يشتكون من صعوبته واستعصاء مسأله وتشابك أبوابه، وتعقيد مصطلحاته أو كثرتها، ولكن هذه الأشياء والصعوبات تتجاوز بالرغبة الصادقة والمثابرة المستمرة والإصرار الأكيد على التمكن من هذا العلم أو ذاك، وليس فقط بالتيسير والتبسيط والاختزال، سيان في ذلك من أراد أن يكون طبيبا أو فيلسوفا أو أدبيا أو فزيائيا أو رياضيا أو ناقدا بنويوا أو سيميائيا أو تشريحيا، أو عالم أحياء أو موسيقيا أو مسرحيا أو...أو...أو عروضيا، يعني هذا أن الطلبة أيضا ينبغي أن يتحملوا مشقة ذلك وعنته، وألا يؤخذوا بهذا اللين الزائد¹¹، وإن كان إقبالهم على علم دون غيره مرده اليوم ما يستشرفون من أهميته وحدواه في ميدان العلم والدرجات وسوق العمل والترقيات، فعلى المتخصص في التعليمية والمتصدر لوضع البرامج البحث في تكوين تلك الرغبة وتهيئة أسبابها، وأن يضع نصب عينيه في اختيار محتوى المادة أن العروض لم يعد علما تشد إليه الرحال وأن ما يعرض في المناهج ليس للمتخصصين فاللين مطلوب والبحث عن المستسهل مرغوب .

ثالثا : مادة العروض المقررة :

العروض علم " ذو أصول وقواعد يعرف بها صحيح الشعر من فاسده، ويتعبير أدق هو علم يبحث في الأوزان التي استخدمها العرب لشعرهم سليقة أو دراية وفي التغييرات التي تتعرض لتلك الأوزان وفي الأصول التي يعتمد عليها هذا الشعر فترسخ سمته العامة وتشد أوصاله وتثبت أوائله وأواخره" ¹² فهو علم مكتمل الأركان منذ نشأته له أصوله وقواعده شأنه شأن النحو والبلاغة وغيرهما من علوم العربية، غير أن العروض يمتاز بكونه يضارع في تعليمه تعلم لغة أجنبية على حد قول مصطفى حركات " والوزن بالنسبة لمن لا يملك الأذن الموسيقية هو مثل اللغة الأجنبية . والعروض لمن يدرسه لأول مرة هو فعلا لغة أجنبية لها أبجديتها الخاصة ومفرداتها وصرفها ونحوها " ¹³ وإن كان مكن الصعوبة في مصطلحاته بالأساس .

لذلك فاختيار محتوى تعليمه لا بد أن يحاط بعناية خاصة تنأى به عن الخضوع لاعتماد ترتيب البحور - وإن كانت قليلة الشيوع والاستعمال - كما الدوائر العروضية في وضع المنهج، أو السير وفق تأليف الأوائل، فلا هو مقدم للمتخصصين ولا همة طالبه همة الأولين، ولا هو على رأس أولويات المبرمجين، وإن اعتماد مؤلف أو اثنين وتفصيل عناصره على السنوات الدراسية له انعكاساته السلبية إذ مما ضاعف من صعوبة تعلم العروض " طريقة التأليف فيه حيث، تحرص بعض المؤلفات العروضية على حشد مصطلحات كثيرة وتقدمها بطريقة يعسر على الطلاب الإلمام

بها، بالإضافة إلى تردد شواهد شعرية تتكرر في معظم كتب العروض¹⁴ خصوصاً وأن أغلب المصطلحات المتعلقة بهذا العلم لا نجد لها تبريراً منطقياً لما تدل عليه داخل هذا العلم حتى عند المتقدمين فكيف بالمعاصرين؟ وكيف يتلقاها الطالب دالاً ومدلولاً في هذا العصر؟ وهنا إشكال آخر يستدعي بحثاً أكاديمية في إمكانية إعادة النظر في هذه المصطلحات، إذ في مقاربات تيسير النحو والبلاغة والصرف مثلاً تُسهل مصطلحاتها عملية التدريس، وهو أمر غير ميسر في علم العروض، فقد "لاحظ أهل العروض أن الأسماء والمصطلحات، التي تتوثق عادة صلتها الاصطلاحية بأصلها اللغوي، تبدو في هذا العلم غامضة، واهية العلاقة، فبين الاسم والمسمى بون واسع، وبين الاصطلاح وأصله فرق شاسع حتى ليصعب على الدارس معرفة مدلولاتها من خلال الكشف عن العلاقة بين الاسم الأصلي والمسمى الاصطلاحي، وهذا مما يزيد في إعاقة عمل الذاكرة، ويجعل عملية الحفظ والتذكر غاية في الصعوبة"¹⁵

ولنأخذ مقارنة لهذا علم النحو و مصطلحاته في العملية التعليمية التعلمية فإن تسمية الفاعل ب (فاعل) في علم النحو منتزعة من كونه فاعلاً، وتسمية المفعول بمفعول به أو فيه أو لأجله أو معه منتزعات من مؤدياتها، وكذلك بقية المصطلحات، لذا يسهل لدى طالب النحو الربط بين الكلمة ومؤداها... وليس الأمر كذلك في مصطلحات علم العروض. إذ كل ما في الأمر شبه بيت الشعر ببيت الشعر، ولا نكاد نتبين وجهها للشبه إلا في وحدة اللفظين، وأطلقت أسماء أجزاء هذا على ذلك، فكان يشبه جزءاً من بيت الشعر بالخشبة المعترضة ويسمى "عروضا" وجزء يشبه بالوتد فيسمى "وتدا" وذاك يشبه بالحبل فيسمى سببا خفيفاً أو ثقيلاً... وما يتفق لبيت الشعر من كف وخبن وطبي وتذييل وترفيل... من دون سبب مفهوم لاختيار هذا الاسم لذلك المسمى دون غيره وكذلك الحال في مصطلحات "الحذف" و "الوقص" و "الإضمار" و "القبض" ... لا سببا في اختيارها بالذات لهذا ترى حفظ هذه المصطلحات وتشخيصها في الذاكرة يصعب على أساتذة العروض فكيف الحال في الطلاب¹⁶...

ومما يحسب للمقاربة الحديثة تنبهاً إلى وجود خلل في تعليم العروض لكن حصرته في أسباب ضيقة و من ثم جعلت الحل في اعتماد النص الأدبي أساساً لتدريس العروض ثم حملت المدرس - الموجه فقط في أدبياتها- مسؤولية التدريس والإنشاد والتلحين وكل ذلك غير بعيد عن التلقين فقد جاء في منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي:

"وجدير بالذكر القول بأن العروض علم يمس أجمل فنون الأدب العربي وهو فن الشعر إلا أن تدريسه بطريقة عقيمة يفصله عن النص الأدبي وإرهاق المتعلمين بسبيل من المصطلحات الغريبة والبحور الشعرية، بدا للمتعلمين وكأنه طلاسماً أو ألغاز، والنهوض بتدريس هذا العلم بفعالية لا يتم إلا باتباع طريقة تربوية صحيحة تحببه إلى الطلبة وهذا لا يتم إلا من خلال اعتماد النص الأدبي أساساً لتدريس العروض وذلك بشكل متلاحم متواصل في سياق الدراسة الكلية للنص الأدبي المقرر، بقدر توافره على المبتغى. ومن أساليب نجاح المدرس في تنشيط حصة العروض أن يكثر من إنشاد أبيات النص الشعرية ملحنة تلحينا موسيقياً... حتى ترسخ نغماته وإيقاعاته في أذهان المتعلمين وفي آذانهم وعلى ألسنتهم، فتتولد لديهم ملكة الحس الموسيقي (أو القدرة على التذوق الموسيقي) وتنطبع على صفحات أحاسيسهم ومشاعرهم"¹⁷.

وأني للأستاذ غير المتخصص والمهتم أن يلقي بالاً للتلحين الموسيقي والإنشاد! لذلك كان الأولى التركيز على المحتوى وطريقة تقديمه ومراعاة الجوانب العلمية في كل هذا "على أن يراعى في اختيار المحتوى ارتباطه بأهداف المنهج، وصدقه من حيث تضمنه المعلومات والمعارف الدقيقة التي يتم التحقق من صحتها وصدقها فضلاً عن مراعاته الحدائث في

المعلومات، والدلالة التي تعني أنه ذو معنى وفائدة للمتعلم، ومراعاته حاجات المتعلمين، وميولهم، وما بينهم من فروق فردية، وارتباطه بالواقع الثقافي والاجتماعي للمتعلم، وملاءمته مستوى نضج المتعلمين، والتوازن بين الشمول والعمق فيه، وملاءمة الظروف والمعطيات التي يطبق فيها، واستجابته لمعايير جودة التعليم " 18 والاقتراحات والتوصيات المقدمة في البحوث الأكاديمية في هذا الجانب لا تكاد تحصر عدا، لو أن الوزارة الوصية أقامت مبدأ الاستشارة واحترام التخصص، وكل هذا مطلب ضروري يندرج ضمن ما يعرف بالديداكتيك الخاصة وهي : "التي تهتم بالنشاط التعليمي داخل القسم في ارتباطه بالمواد الدراسية، أي في التفكير في الأهداف التربوية للمادة وبناء استراتيجيات لتدريسها كأن نقول ديداكتيك الرياضيات أو ديداكتيك الفيزياء أو ديداكتيك التاريخ ...

ويذهب الديداكتيكيون إلى أن إدراج المادة الدراسية ضمن اهتمامات الديداكتيك نابع من كون هذه الأخيرة ليست مجرد تبسيط واختزال للمعرفة العالمية بل هي بناء جديد لا يستطيع أن يقوم به إلا المختص. فهذا الأخير هو المؤهل لتصنيفها وإدخال التعديلات الضرورية عليها، أي أن انتقاء وترتيب ما ينبغي تعلمه من طرف الطالب من معارف وقضايا تاريخية إنما هو من شأن المختص في التاريخ، وما ينبغي تعلمه في الرياضيات هو من شأن المختص فيها...

إن دراسة المادة التعليمية هي موضوع الديداكتيك الخاصة :

فعلى المستوى الابدستيمولوجي تهتم الديداكتيك بالمادة، من حيث طبيعتها وبنيتها ومنطقها ومناهج دراستها . وعلى المستوى البيداغوجي تدرس الديداكتيك أساليب وتقنيات تعليم هذه المادة وما يعترض تعلمها من صعوبات . " 19 وعلى هذا الأساس فإن ما ينبغي تعلمه في العروض هو من شأن العروضي المتمرس الذي له خبرة بالعروض وعلم العروض ففي ميدان درس العروض مثلا ليس بالضرورة السير في تدريس البحور وفق الكتب المؤلفة في هذا الميدان فمثلا بالإمكان أن يبدأ المعلمون بتدريس البحور الشعرية السهلة ثم الأكثر صعوبة والبحور المفردة ثم البحور المركبة، فمثلا من الأفضل أن يبدأ المعلم بتدريس بحر المتقارب الذي تفاعيله :

فعولن فعولن فعولن فعولن	فعولن فعولن فعولن
-------------------------	-------------------

وبحر الهزج الذي تفاعيله :

مفاعيلن مفاعيلن	مفاعيلن مفاعيلن
-----------------	-----------------

قبل تدريس البحر الطويل الذي تفاعيله :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
-----------------------------	-----------------------------

إذ إن تفعيلات البحر الطويل مركبة منهما .

وأن يتخذ المعلمون من شعر المناسبات الوطنية المعنى والقصائد الملحنة التي يكثر الاستماع إليها منطلقا لتدريس العروض²⁰، والأولى هنا أن يختار النصوص بهذا التوجه واضعوا المناهج في إطار المقاربة النصية مراعين في ذلك محتوى التعليم وخبراته المتنوعة .

إذ يتكون محتوى التعليم من خبرات متنوعة منها ما هو معرفي ومنها ما هو وجداني ومنها ما هو مهاري وهذا يعني أن بالإمكان تقسيم التعليم على ثلاث مجالات²¹ هي :

1-المجال المعرفي : يشمل المعلومات والمعارف التي يقدمها محتوى التدريس إلى المتعلمين وتشتمل على : الحقائق، والمفاهيم، والتعميمات، والنظريات (ويمكن استثمار الدرس العروضي في عرض موجز حول نشأة علم العروض والاهتمام به عبر الزمن العلمي في التراث العربي إضافة لما هو مقرر من مصطلحات العروض وأساسياته) .

2-المجال الوجداني : يشمل كل ما يخاطب وجدان المتعلم ويسعى إلى توجيه انفعالاته : ومن الجدير بالذكر أن المحتوى الوجداني قد لا يرد صريحا في محتوى التعليم إنما يمكن اكتشافه من خلال التحليل والسياق (وفي درس العروض مجال رحب للمجال الوجداني لما في الشعر من بعد خيالي / توجيهي / انفعالي يسري في الوجدان بنغم موسيقي)

3-المجال المهاري : ويشمل المهارات التي يعبر بها المتعلم عن استجابته الأدائية التي يمكن أن تنمو بالتعلم والدرية والممارسة حتى الوصول إلى درجة الإتقان علما بأن المهارات :

- عقلية : يغلب عليها الأداء العقلي المعرفي كالذي يجري في حل المشكلات، والتفكير الناقد، واتخاذ القرارات، وإعراب الجمل وتحليلها .

- حركية : يغلب عليها الأداء الحركي العظلي كالطباعة والسباحة وقيادة السيارة، وأداء الألعاب الرياضية.

- اجتماعية : يغلب عليها الطابع الاجتماعي في الأداء كالمناقشة والتعاون وإبداء وجهات النظر والآراء وما شاكلها .

وفي هذا المجال المهاري تتجلى مكتسبات الطالب من علم العروض فيقطع الأبيات ويستخرج بحورها وينظم على أوزانها، ومن إيجابيتها اكتشاف المواهب وتنمية المهارات، وإذا ما استغل المعلم استراتيجية التعلم التعاوني، واعتمد النشاط والحركية في صفه فقد ترجم ما يرمي إليه المحتوى تحقيقا لأهداف المنهج خصوصا و ما ترمي إليه المقاربة بالكفاءات عموما .

وحدثنا عن المحتوى حديث عن الكتاب الذي يحويه وهو الكتاب المدرسي إذ لا بد أن يحاط هو الآخر بعناية الترتيب والتبويب وانتقاء المواضيع والشواهد " ولو أنا ذهبنا نستقصي حول اتجاهات التأليف في علم العروض في العصر الحديث لوقفنا على أن هذه الاتجاهات تحكمها غاية المؤلف من تأليفه، وليس يخفى أن الذين يتشبثون بتصورات الخليل ونظريته هم أولئك الذين يؤلفون لغرض تعليمي محض، وما أكثر هذه المؤلفات المدرسية في المكتبة العربية خاصة وأن أكثرها عبارة عن مقررات تقدم وتدرس لطلاب الثانويات والجامعات وهذه لا تكلف نفسها كبير عناء في التنقيب عن البدائل وتمحيص المسائل أو تتحاشى ذلك تجنباً للتشويش على أذهان المتلقين وتشتيت أفهامهم " ²² وهذا مما يسجل سلبا في الكتاب المترجم للمقاربة النصية في المرحلة الثانوية إضافة إلى تهميش الأدب الجزائري في قسم الشعر كشواهد حية جديدة معاشة ومغناة، كما نسجل ضباية اعتماد المقاربة بين النصوص المقررة والشواهد الملحقه في روافد هذه النصوص .

خاتمة :

إن إشكالات تدريس العروض تزداد تشعبا كلما أمعنا النظر في عناصر العملية التعليمية، الأمر الذي يضع المختصين أمام تحد علمي تربوي يستدعي تكثيف الجهود لتقديم محتوى مادة العروض بطريقة منهجية موازنة بين التراث

وما استجد في الحقل التعليمي إذ الأولى تستدعيها الهوية الوطنية و الثانية توجبها العولمة التعليمية مما يستدعي حرصا أكبر وأشمل لتكوين المعلم ومراعاة حاجات المتعلم وكذا طريقة انتقال الفعل الديداكتي من المعرفة العاملة إلى المعرفة التعليمية من خلال اختيار المحتوى وبرمجته من طرف الوزارة الوصية والمختصين في التعليمية .و إن حاولت المقاربات الجديدة تدارك بعض النقائص إلا أنها أهملت عدة جوانب كما تقدم ، والعروض كما أسلفنا من الأهمية بمكان يستدعي سلطة تربوية للحفاظ عليه كمكسب تراثي فريد .

قائمة الإحالات :

- 1 (أحمد حساني ، تعليميات اللغات والترجمة - بحث في المفاهيم والإجراءات - مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، العدد الأول ، ماي 2005 ص 86.
- 2 (عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر 2012، ص 170.
- 3 (وهو ما اصطلح عليه مصطفى حركات العروض الشامل وهو أن يدرس العروض بجميع أبعاده عبر مراحل التعليم توسعا في التعليم الجامعي، وقد أبرزت كثير من البحوث جسور المعرفة التي مدت بين العروض و التخصصات الأخرى لا يسع المجال لسردها هنا.
- 4 (نبيل أحمد عبد الهادي، نماذج تربوية تعليمية معاصرة، ط 2، دار وائل للنشر والتوزيع،الأردن، 2004، ص 96.
- 5 (إبراهيم عبد العليم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ط 5، دار المعارف، القاهرة، 1985 ص 25 .
- 6 (يوسف و غليسي، تقدم كتاب الميسر في العروض والقافية لناصر لوحيشي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر 2007، ص 8 .
- 7 (محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2000م ص 17 .
- 8 (ينظر : يموت غازي، بحور الشعر العربي، عروض الخليل، الطبعة الثانية، دار الفكر اللبناني، 1992، ص 8.
- 9 (وزارة التربية الوطنية، مناهج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، مارس 2005، ص 19- 20 .
- 10 (فوزي عيسى، تطبيقات في علم العروض، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2008-2009، ص 03.
- 11 (ناصر لوحيشي، الميسر في العروض والقافية، مرجع سابق ص 25 .
- 12 (ينظر : نجيب جحيش، إشكاليات المصطلح العروضي بين القديم والحديث، أطروحة دكتوراه علوم، إشراف يوسف و غليسي، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، 2017، ص 231 .
- 13 (وزارة التربية الوطنية، المرجع السابق، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، مارس 2005، ص 28 .
- 14 (مصطفى حركات، تدريس العروض، مجلة العربية، العدد الثالث السداسي الأول 2011، ص 11.
- 15 (فوزي عيسى، تطبيقات في علم العروض، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2008-2009، ص 03.
- 16 (يموت غازي، مرجع سابق، ص 9.
- 17 (ينظر : صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، منشورات مكتبة المثنى ،بغداد ، ط 5 1977، ص 14، 1 .
- 18 (وزارة التربية الوطنية، مرجع سابق ، ص 28 .
- 19 (عبد الرحمان الهاشمي، محسن علي عطية، تحليل محتوى مناهج اللغة العربية، رؤية نظرية تطبيقية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ط 1، 2009 م ص 220- 221 .
- 20 (أحمد الفاسي الفهري، الديداكتيك مفاهيم ومقاربات، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب، المجلة التربوية
- 21 (أحمد الفاسي الفهري، الديداكتيك مفاهيم ومقاربات، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب، المجلة التربوية
- 22 (علي سامي الحلاق، المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية وعلومها، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان، ط 1، 2010 ص 377
- 23 (ينظر : علي سامي الحلاق، المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية وعلومها، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان، ط 1، 2010 ص 377
- 24 (عبد الرحمان الهاشمي، محسن علي عطية، مرجع سابق ، ص 219
- 25 (نجيب جحيش، مرجع سابق، ص 231 .